
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية





منتديات البدائل العالمية.. محاولات للاجتهاد في ظل غياب إسلامي ملحوظ

د.هبة رؤوف عزت

حين قامت مظاهرات سياتل الشهيرة أمام مبنى اجتماعات منظمة التجارة العالمية عام 2000 لمعارضة السياسات التجارية للنظام العالمي الجديد القديم وشروطه الرأسمالية المجحفة لدول العالم النامي، كان هذا بمنزلة انطلاقة شرارة ما سمي بحركة مناهضة العولمة، والتي برزت لتجمع شمل الحركات الاجتماعية المختلفة في أنحاء العالم، والتي تأتي معظمها من خلفية اليسار الذي لم يمت بسقوط الاتحاد السوفييتي، بل بقيت قواه الاجتماعية وأحزابه ناشطة في دول كثيرة من العالم، لكنها انصرفت لأجندتها الديمقراطية الداخلية، بل وفازت في العديد من الدول الغربية بالانتخابات خاصة في ظل استقرار تجربة الديمقراطية الاشتراكية ودولة الرفاهية في المنطقة الاسكندنافية شمال أوروبا، ولأن تلك الأحزاب أحزاب قديمة وناشطة في كل دول غرب أوروبا.

كان المنتدى الاقتصادي العالمي دوما محل انتقاد مختلف القوى سابقة الذكر، فهو مساحة صغيرة الحجم في دولة صغيرة هي سويسرا في مدينة جبلية هي منتجع شتوي للأغنياء أصلاً، نشأ بها في الثمانينيات- بشكل غير رسمي لكنه منظم- ذلك المنتدى ليجمع رؤساء الدول والحكومات مع رؤساء الشركات العابرة للقارات، ليفتح مجالا للقاءات وتحالفات وترتيبات ومصالحات ولقاءات دون أن تكون محسوبة على الدول بشكل رسمي.

قيل إن هذا المنتدى هو مركز من مراكز الرأسمالية العالمية، وأن الندوات التي تعقد فيه تعكس أجندة وعقل النظام العالمي للمرحلة الراهنة، مع الوقت بدأ المنتدى في دعوة مثقفين وفنانين وشباب من قادة العالم، بل ورجال دين كي يبدو أكثر تنوعاً، بل وسمح لبعض رؤساء النقابات الضخمة في الغرب ورؤساء بعض الجمعيات والكيانات الدولية الضخمة كمنظمة العفو الدولية وبرنامج الغذاء العالمي ومنظمة سيفيكوس وغيرها بالمشاركة ليبدو ديمقراطياً، وإن بقيت المشاركة رهينة دعوة من المنتدى، فالحضور محدود والإجراءات الأمنية عالية، إذ يستلم الجيش السويسري المدينة من الشرطة طوال فترة انعقاد المؤتمر التي لا يتجاوز المشاركون فيه ألفي مشارك، منهم نسبة من الصحفيين من أكبر الصحف ووكالات الأنباء العالمية للتغطية وعقد المقابلات وتغطية بعض الفعاليات المفتوحة مباشرة على أشهر الفضائيات العالمية.

كان عام ٢٠٠١ التالي لمظاهرات سياتل الضخمة، والتي كشفت بصراحة في شعاراتها عن جبهة قوية لمعاداة الرأسمالية تنتشر بين الشباب في الغرب والشرق على حد سواء، هو عام إقامة أول منتدى اجتماعي عالمي ليكون موازياً في انعقاده مع المنتدى الاقتصادي العالمي، ليجمع الحركات الاجتماعية والمنظمات الأهلية والنشطاء في مساحة واحدة بمبادرة من البرازيل، وذلك في مدينة بورتو أليجري جنوبي البلاد، والتي استمر اللقاء بها كل عام لمدة ثلاث سنوات، ثم قرر المنظمون من نشطاء المنتدى أن يتحركوا لمكان آخر كي يتاح الحضور لجمعيات وحركات أخرى يمنعها بعد المسافة وقيود تكلفة السفر من المشاركة، فانتقلوا إلى الهند عام ٢٠٠٤ في مدينة مومباي، ثم عادوا لبورتو آليجري ٢٠٠٤، ثم انقسم عام ٢٠٠٥ لثلاثة منتديات للوصول الى أكبر مشاركة في ثلاث قارات بالتوازي، فانعقد في نفس توقيت دافوس في كاراكاس في فنزويلا بأميركا اللاتينية وباماكو في مالي بإفريقيا وكاراتشي في باكستان بآسيا، وهو مع قلة الحضور الذي كان لا يقل في السابق عن ١٥٠ -٢٠٠ ألف مشارك في حدث ضخم إلا أنه أثمر تواصلاً حول الأهداف بين أبناء القارة الواحدة شارك فيه أقرب القارات لكل منتدى، فكانت استراليا من نصيب كراتشي، وكانت أوروبا من نصيب مالي في الغالب، وكانت فنزويلا قبلة كل نشطاء أميركا اللاتينية في ذاك العام، وفي عام ٢٠٠٧ اجتمع شمل المنتدى في كينيا لتجتمع كل الفعاليات على القارة الإفريقية في لحظة استقرار نسبي شهدتها كينيا(التي شهدت ترديا في أوضاعها السياسية للأسف في الشهور اللاحقة)، وعاد المنتدى الذي تقرر أن يعقد كل عامين لإتاحة الفرصة لتقويم النشاط وتطوير الأجندات لأميركا اللاتينية مجدداً ٢٠٠٩ في الفترة من ٢٧يناير إلى ٢ فبراير في مدينة بيليم شمال البرازيل كي يلفت الأنظار لقضايا البيئة والخطر الذي يهدد غابات الأمازون من الشركات عابرة القارات التي تهدف إلى الاستثمار في تجارة الأخشاب، وتهدد الرصيد الحيوي والبيئي للعالم كله الذي تمثل الغابات رئته الرئيسية.

الفرصة الذهبية.. أزمة الرأسمالية

كان من حق المنتدى أن يغمره شعور بالتفاؤل، فهو ينعقد هذا العام ليجمع ١٣٣ ألف ناشط من ١٤٢ دولة بأغلبية حضور من أميركا اللاتينية قرابة الـ ٨٠ في المئة في ظل أزمة طاحنة للنظام الرأسمالي نتيجة تردي أوضاعه المالية، وهو ما خلق فرصة للمنتدى لكي يسعى لمناقشة بدائل متنوعة في كل المجالات، في الوقت الذي كانت القوى العالمية والشركات الكبرى ورؤساء الحكومات الغربية يسعون للملمة أمورهم في دافوس في جو مشحون بالتوتر نتيجة إخفاق الرأسمالية والأزمة التي كادت تودي بالنظام المالي العالمي لولا تدخل الحكومات وضخ المليارات.

المنتدى الاجتماعي الدولي قام على مجموعة من المنطلقات أبرزها رفض قاطع للرأسمالية والإقطاعية، واتفاقات التجارة الحرة التي تجتاح أسواق الدول التي لا تملك منافسة السلع الأجنبية بما يجهض جهودها في التصنيع ويجهض القطاع الزراعي لصالح استيراد المواد الغذائية من خارج يمكنه الإنتاج

المقال منشور بتمامه في العدد(٥٢٣)

الأكبر والأرخص بفعل استخدام تقنيات الهندسة الوراثية في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني.

أيضا من أجندة المنتدى الاجتماعي الدولي في دورات انعقاده السنوية- ثم كل عامين- مناقشة أشكال الهيمنة الثقافية والعدالة الاجتماعية في مواجهة القمع الطبقي أو التقليدي، وخطر التشدد الديني، وتجميع جهود الجمعيات والحركات التي تتشارك في نفس الأهداف من حركات البيئة والمرأة والتحرر الوطني وحقوق الإنسان والسكان الأصليين وتشبيك الجهد عبر القارات، وتعبئة الحملات بما يضغط على المنظمات الدولية (مثل الأمم المتحدة) لتبني أهداف واضحة.

وقد يتساءل المرء عن الأثر الفعلي لتلك المنتديات، والحقيقة أن تبني الأمم المتحدة للأهداف الإنمائية للألفية كان نتاج ضغوط كثيرة من التحالفات الدولية التي كانت الشريك المؤسس للمنتدى الاجتماعي الدولي قبل أن يأخذ صيغته الدورية، وكثير منها تشارك في المنتدى الاقتصادي اليوم، كما ترسل وفودا للمنتدى الاجتماعي، أي تسعى للضغط على صناع القرار في الشمال وتنضم لزخم تحالفات ونقاشات وتظاهرات الجنوب في آن واحد.

ولا ينبغي أن ننسى أيضا أن كثيرا من القوى التي تحضر المنتدى الاجتماعي كانت خلف تأسيس المحكمة الجنائية الدولية التي قد نعترض على بعض قراراتها، لكن لا ينبغي إهدارها كمساحة للعدالة الدولية ستفيد أول ما تفيد جهودنا في محكمة مجرمي الحرب في الكيان الصهيوني في أحداث غزة، وفتح ملفات الكثير من القضايا التي تم فيها إبادة للمسلمين في البلقان.

تحالف عالمي وتحالف لاتيني..

منتدى هذا العام حظي بدعم واضح من حكومة البرازيل مجدداً، والتي خصصت له ٣٥ مليون دولار في بعض التقارير في حين رفعتها بعض التوقعات إلى ٥٠ مليون دولار لتغطية تكلفة الدعوات للأجانب والإقامة والتنظيم، والأمن الكثيف الذي تجاوز ٧ آلاف ضابط، وسيارات شرطة ومروحيات حلقت



طوال الأيام فوق رؤوس المشاركين، ليس فقط لحمايتهم بل لحماية خمس رؤساء دول من أميركا اللاتينية، هم رؤساء البرازيل وبوليفيا وفنزويلا والإكوادور وباراجواي، وهكذا فقد أرسل هؤلاء الرؤساء الخمسة رسالة واضحة بأن أميركا اللاتينية تسعى إلى تدعيم قوتها والتحالف بين أنظمتها لتشكيل كتلة جديدة تلعب دورا في الساحة الدولية بين دول الجنوب.

الحضور الديني وغياب المسلمين

قد يبدو لمن يتابع ما يبثه الإعلام من أخبار عن المنتدى الاجتماعي الدولي- الذي لا تهتم به صحافتنا العربية إلا في إشارات مقتضبة سريعة- أن المنتدى هو لقاء لبقايا يسار العالم من بلدان مختلفة، وهذا في الحقيقة غير صحيح، فرغم المزاج الاشتراكي الغالب والواضح، ومنحى التحرر الأخلاقي الغالب في حالة ما بعد الحداثة والسيولة التنظيمية والمرونة الفكرية السائدة فإن هناك حضورا أيضا لكثير من الكنائس، ويشهد المنتدى مشاركة قوية من مجلس الكنائس العالمي- الذي له موقف ممتاز من القضية الفسطينية طول الوقت -وفي كل ندوة أو لقاء شاركت فيه هذا العام في المنتدى وجدت أفرادا من الإرساليات التبشيرية من الكاثوليك والبروتستانت والكنائس الحرة المنتشرة في القارة.

ومما لفت نظري بشدة غياب الحضور العربي والإسلامي في المنتدى، حتى إنني أرسلت لصديق في الإغاثة الإسلامية أسأله لماذا أحجموا عن المشاركة فلم يصل منه رد!

لقد خرجت مسيرات كبيرة أثناء المنتدى هذا العام ضد مذبحة غزة، وأقام تحالف النساء الديمقراطيات العالمي وكذا اتحاد نساء البرازيل حملة توقيعات لتقديم مجرمي الحرب في غزة إلى المحاكمة الدولية، وشارك فيها عشرات الآلاف، وساهم وفد من الأرض المحتلة من الضفة والقدس في خيمة حركات التحرر وفعاليات منتدى تلك الحركات الذي رعته حركة الكاتالون الأسبانية، منهم نقابيون ونساء وقياديون للعمل المدني.

قد لا يدرك القارئ ن المظاهرات التي تخرج في العواصم الغربية لدعم نضال فلسطين أو المطالبة بخروج أميركا من العراق معظمها تكون من تنظيم هذه الحركات والجمعيات والشبكات لطبيعتها المعادية للرأسمالية والإمبريالية تاريخياً، وهكذا فإن مشاركة التنظيمات المدنية والأهلية العربية والإسلامية في هذا المنتدى من الضرورة بمكان، لكنه سيحتاج بالتأكيد للكثير من الإعداد والفهم لأهمية الحدث وأيضاً حدوده وقيوده وطبيعة الثقافة السائدة فيه، والتي يمكن أن يستوعبها خطاب اسلامي تحرري وطني ووسطي تجديدي، دون حاجة للاعتراف أو التفاعل بالإكراه مع تنظيمات حاضرة بيننا وبينها خلافات على أمور أخلاقية أساسية، لذا ذكرت أن المشاركة في هذه الفرصة السانحة للتأثير والتعبير والتغيير تحتاج إعدادا ووعيا وحكمة.

مناهضة أم بدائل؟

اليوم العالم كله يبحث عن بديل للحضارة الغربية التي تعاني أزمة تاريخية ومأزقاً فكرياً واجتماعياً، ويبحث عن بديل للرأسمالية التي فضحتها الأزمة الأخيرة، فهل ندرك أن هناك قارات أخرى في انتظار شراكة اجتماعية وعمل مدني وأهلي وإغاثي، وندية فكرية في البحث عن بدائل- وليس بديل واحد- للعولمة المهيمنة.

من البرازيل عدت بهذه الأسئلة، أحملها للأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس، وأنا أدعو في طريق عودتي الطويل الذي استمر